تمهيد:

يبدو النص في شكله المادي أقربَ شبها بالمكعب ذي الأسطح المتجاورة تارة والمتقابلة تارة ثانية، وعليه، فإنّ ما يتبدى من مظاهر نصية لهذا الباحث لا يتبدى بالشكل ذاته لمن سواه من الدارسين، وهو ما يؤجج إمكانية تعدد الرؤى واختلاف المفاهيم بين المشتغلين في الحقل الواحد إلى درجة تباين التعريفات للنشاط الواحد، إن على مستوى الضبط المفهومي أو على مستوى تحديد الوظائف أو ما سواها من الحدود التميزية بين الأنشطة. لذا تعددت تعريفات مصطلح النص، فقد وجدها "سعيد حسن بحيري" كثيرة، بدا له حينها أن حظ هذا المصطلح لم يكن" أسعد حالا من مصطلح الجملة، فثمة اختلاف شديد بين هذه الاتجاهات في تعريف النص إلى حد التناقض أحيانا والإبهام أحيانا أخرى"[1].

إن مجال اشتغال اللسانيات النصية هو دراسة النصوص وتحليلها، حيث "يرتكز على النصوص في ذاتها؛ أشكالها، وقواعدها، ووظائفها، وتأثيراتها المتباينة"[2]، لذا عدّ النص بؤرة اهتمام الباحثين في هذا الميدان، لكن هذا لا يمنعنا من عرض بعض التّعريفات ومناقشتها:

مصطلح النص في المعجم العربي:

تعددت دلالات لفظ (نص)، واكتسبت أبعاد حسية في الغالب- طالما أن أصل اللغة حسي- فقد جاء في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيد(ت175 هـ) ما نصه: " نصصت الحديث إلى فلان نصا، أي رفعته، قال:

وَنُصِّ الحَدِيثَ إِلَى أَهْلِهِ فَإِنَّ الوَثِيقَةَ فِي نَصِّهِ [3]

والنّص عند ابن منظور (ت711 هـ) "هو رفعك الشّيء، نصّ الحديث ينصّه نصّا: رفعه، وكلّ ما أظهر فقد نصّ، وقال عمرو بن دينار: ما رأيت رجلا أنصّ للحديث من الزّهري، أي أرفع له وأسند، يقال: نصّ الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصته إليه، ونصّت الظّبية جيدها: رفعته "[4]، فهذه المعاني كلّها تعود إلى جامع واحد هو"الارتفاع" وهو أظهر مكوّنات الشّيء أو أقصاها[5].

يمكن أن نجمل ما انتهى إليه التطور الدلالي لهذه المادة فيما يلي:

1. **الإظهار:** جاء في لسان العرب:" وكل ما أظهر فقد نصّ... ووضع على المنصة، أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور، والمنصة ما تظهر عليه العروس لترى، وكل شيء أظهرته فقد نصصته[6]، قال امرؤ القيس[الطويل]:

---

[1]- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات ص: 101

2- المرجع نفسه، ص: 100

[3]- الخليل ابن أحمد الفراهيدي (أبو عبد الرحمن ت175 ه)، كتاب العين، تقيق محمد المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، باب: الصاد والنون، ج7، ص: 86

[4]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، (ط3)، المجلد 07 ، (مادة نصص)، 1994، ص: 97.

[5]-الأزهر الزناد، نسيج النص "بحث فيما يكون به الملفوظ نصا"، ص: 12.

[6]- ابن منظور، لسان العرب، امج 07 ، (مادة نصص)، ص: 97.

وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَّ **نَصَّتْهُ** وَلاَ بِمُعَطَّلِ

نَصَّتْهُ : أي أظهرته.

2. **التعيين والتحديد:** جاء في اللسان:" والنصّ: التوقيف، والنص التعيين على شيء ما...ونصّ الرجل نصّا، إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده، ونصُّ كلّ شيء منتهاه[7].

بفعل التطور الدلالي، اكتسبت الكلمة الدلالة المجازية، حيث أصبح لفظ "نص" دالا على صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف[8].

مصطلح النص في لسانيات النص:

أكثر ما يواجه لسانيات النص من تعقيدات، هو تعدد التعريفات لمصطلح النص، بحيث يتعذر وجود مفهوم جامع مانع يؤلف بين الباحثين، وهو ما شكل عقبة كأداء أمام أهل هذا الاختصاص، "إذ لا توجد مصاعب تواجه علما من العلوم مثلما هي الحال بالنسبة إلى علم لغة النص، حيث إنّه حتى الآن وبعد ما يربو على ثلاثة عقود على نشأته الفعلية لم يتحدد بدرجة كافية، بل إنّه مسمى لاتجاهات وتصورات غاية في التباين وفروع علمية غاية في الاختلاف" [9].

وهذه مجموعة من التعريفات التي أسدى بها بعض علماء النص:

عند الغربيين:

رأى "**فان ديك**" (*Van Dijk*) "أنّ أي تحديد للنّص يقتضي نظريّة أدبيّة، وهذا لم يحدث إلاّ في سنوات السّتّينات والسّبعينات... فقد حاول في كتابه "بعض أنحاء النّصّ" السعي إلى إقامة تصور متكامل حول النص منذ 1972 وظل على هذا المبدأ في كتابه "النص والسياق" الذي أصدره سنة 1977 حيث أخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد البنوية والسياقية والثقافية ... أثناء دراسة أي نص من النصوص اللغوية [10].

وعلى النهج ذاته سار"**هاليداي ورقية حسن**" (*M.Halliday & R. Hassan*) في تعريفهما للنص حين أعدّاه"وحدة في طور الاستعمال"[11]. يبدو من خلال هذا التعريف التركيز على معياري الوحدة والانسجام واضحا من خلال الإشارة إلى كون النص وحدة دلالية وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص[12]. فالنص عندهما ليس وحدة نحوية مثل الجملة وليس مجموعة متتالية من الجمل، بل هو وحدة دلالية، أي وحدة معنى.

يركز هاليدي بحكم انتمائه إلى اتجاه لساني يعرف بالوظيفية على أن الدلالة لا تقف عند حد التحليل اللساني بمعناه التواصلي، إنها تتجاوز ذلك إلى اعتبار الوظائف عملية أولى وسابقة[13]، يتحدد

---

[7]- المرجع نفسه، ص:98.

[8]- مجمع اللغة العربية بالقاهرة،المعجم الوجيز، لهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، مصر، ط: 1991 ص: 619.

[9]- سعيد حسن بحيري ،علم لغة النص "المفاهيم والاتجاهات " ص:115.

[10]- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، (ط2)، 2001، ص: 14و15.

[11]- محمد عزام، النص الغائب، تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، 2001، ص: 16.

[12]- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 13.

[13]- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، ص: 17.

بموجبها شكل النص، حيث إن"النص شكل لساني للتفاعل الاجتماعي... ولما كان النص لا يتحقق إلا في سياق مقام معين...فإنه يتشكل من خلال ثلاثة عناصر متغيرة هي: المجال والعلاقة والمنحى... ويقوم هاليدي بربط كل وظيفة بكل عنصر على الشكل التالي:

1. **الوظيفة التجريبية: المجال**؛ ويقصد به اتخاذ النص وظيفته الدلالية من خلال الهدف الذي يرمي المتكلم إلى تبليغه.
2. **الوظيفة التواصلية**: العلاقة؛ العلاقات القائمة بين المتكلم/ السامع.
3. **الوظيفة النصية**:المنحى؛ يرمي من خلاله إلى الإشارة إلى الأداة الرمزية، والقنوات البلاغبة المستعملة للتواصل.[14]

يبدو أن هاليداي ورقية حسن قد ركزا على جانبي الوحدة والانسجام من خلال الإشارة إلى كون النص وحدة دلالية[15] تحددها الوظائف التي تعد عملية أولى وسابقة، يقولان في هذا الصدد: "نحن نستطيع تحديد النص، بطريقة مبسطة بالقول إنّه اللغة الوظيفية، ونعني بالوظيفية اللغة التي تفعل أو تؤدي بعض الوظائف في بعض السياقات[16]، وبالتالي فإن أي حدث لغوي يستوفي هذه الوظائف وله بنية دلالية منسجمة مع مقام معين، فهو يشكل نصا، ومن ثم فالنص هو الكيفيات اللغوية التي تستوفي كليات دلالية وفق انسجام عناصر بنيته الكلية.

أمّا تعريف "**جوليا كريستيفا**" (*Julia Kristeva*) فقد كان أكثر عمقا[17]، لاعتقادها أن ما سبق من تعريفات كانت تركز على مستوى واحد من النص هو بنيته السطحية (الشكلية) لأنها ترى"أن النص أكثر من مجرد خطاب أو قول؛ إذ إنه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس ظاهرة عبرلغوية بمعنى انها مكونة بفعل اللغة[18]، حيث ترى أنّ النص"جهاز عبر لساني يعيد توزيع نظام اللسان(*Langue*) عن طريق ربطه بالكلام (*Parole*) التواصلي، راميا بذلك إلى الإخبار المباشر مع مختلف أنماط الملفوظات السّابقة والمعاصرة[19]، من هذا التّعريف يحدّد النّص من حيث هو إنتاجيّة *Productivité* حين تكون علاقته باللسان الذي يحصل فيه علاقة توزيع أي علاقة بناء وهدم، كما يظهره من حيث هو تبادل نصوص أي تناص إذ نجد في فضاء النص عدة ملفوظات مأخوذة من نصوص أخرى غير النّص الأصلي[20]. الواضح أنّ هذا التعريف لا يأبه بالمظهر السطحي للنص بقدر ما يبرز ما في النص من شبكات

---

[14]- المرجع نفسه، ص: 18.

[15]- المرجع نفسه، ص: 17.

[16]- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص: 30.

[17]- يعد تعريف الباحثة اللغوية البلغارية جوليا كريستيفا من بين التعريفات التي اهتم بها الدارسون، لأنه يطعن في كفاية النظر إلى السطح اللغوي ويبرز ما في النص من شبكات متعالقة حيث تجعله أكثر من مجرد خطاب أو قول لأنه موضوع العديد من الممارسات السيميوطيقية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة عبر لسانية، بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة لكنها غير قابلة للانحصار في مقولاتها . - ينظر صلاح فضل ،بلاغة الخطاب وعلم النص ،ص: 294 و295 .

[18]- سعيد حسن بحيري ،علم لغة النص "المفاهيم والاتجاهات " ص:112.

[19]- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، ص: 19.

[20]- المرجع نفسه، ص: 19 و 20.

متعالقة، فهي ترى أن النص أكثر من مجرد خطاب أو قول، إذ إنّه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة عبر لغوية[21].

أمّا تصوّر "**رولان بارت**"(*Roland .Bartheses*) للنّص[22]، فقد تبلور في عمل قدّمه عام 1971 بعنوان"من العمل إلى النّص" وقدّم فيه نظريّة مركّزة عن طبيعة النّص من مفهوم تفكيكيّ *Déconstruire* بالدّرجة الأولى حيث يقول: "...إنّ مقولة النّص تشير إلى نشاط وإنتاج...إنّ النّص قوّة متحوّلة تمارس التّأجيل الدّائم، إنّه لانهائيّ ولا مغلق... إنّه عبارة عن استشهادات لا توضع بين أقواس بل تبقى مجهولة...وهو مجموعة من الاقتباسات المجهولة والمقروءة والاستشهادات اللاّشعورية والاستنساخيّة المأخوذة من لغات وثقافات عديدة، وهي التي تضمن إنتاجيّته وممارسته الدّالة على نسيجه المتشابك... وهو كذلك مفتوح ينتجه القارئ أثناء عملية القراءة لتلك الأبنيّة اللغويّة...[23]، وعلى ضوء هذا التّصوّر وهذه الأفكار يعرّف النّص بأنّه "النّسيج وبيت العنكبوت" حيث نجده غير آبه بثنائيّة الكذب والصّدق بل كان همّه هو المعنى الذي يفرضه السّياق على اللّغة، هذا المعنى لا يتمّ إدراكه إلاّ من خلال النّص وبالذّات في نصّيته: تشابك الشّفرات، الصّيّاغات والدّوال، العلاقات والوظائف، وتموقع الذّات وتنحلّ مثل عنكبوت تهلك في خيوطها[24]، فنجده يشبّه الكاتب أو النّاص بالعنكبوت وبنية النّص بيتها ونسيجها. ومن هنا فإن النص عند كل من رولان بارت وجوليا كريستيفا هو عملية تجسيد لنظام اللغة، ذلك أن المعنى الأدبي لا تتحقق ملموسيته خارج إطار هذا النظام[25].

يتضح أن النص عند "بارت" عملية انتاجية، وبذلك فإنه يمارس عملية التأجيل الدائم، فهو ليس مغلقا، إنه لا نهائي، كما أشار إلى دور القارئ الذي لا يقل أهمية عن دور المبدع. فالقارئ في (جماليات التلقي) قوة مسيطرة تمنح النص الحياة، وتعيد إبداعه من جديد، وبهذا تصبح القراءة عملية إنتاجية، لا مجرد عملية تلق واستهلاك فحسب[26].

أمّا الباحث السيميولوجي الروسي"**لوتمان**"(*Lotman*) فلم ترقه تلك التعريفات القصيرة، فصدر في تعريفه للنص من منطلق أكثر شمولية واتساعا، حين قيده بخصائص لا يصير من دونها نصا، فيرى أن تحديد النص يعتمد على المكونات التالية[27]:

1. **التّعبير**: فالنص يتمثل في علاقات محددة، تختلف عن الأبنية القائمة خارجه والتعبير مهما كان نوعه هو الذي يفرض علينا أن نعتبر النص تحقيقا وتجسيدا ماديا له.

---

[21]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 294

[22]-لم يخرج تصور رولان بارت للنص عن الخطوط العريضة التي وضعتها البلغارية جوليا كريستيفا خاصة إنتاجية النص وانفتاحه وفكرة التناص.

[23]- عمر أوكَان، لذة النص أو مغامرة الكتابة لدى بارت، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (دط) 1996، ص30و31.

[24]- نفسه، ص: 31 .

[25]- عبد الناصر حسن محمد، نظرية التواصل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، مصر، 1999، ص: 36.

[26]- محمد عزام، الموقف الأدبي، النص المفتوح في المناهج النقدية، مجلة أدبية شهرية، يصدرها إتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد: 398، 2004، ص:52.

[27]- ينظر: صلاح فضل بلاغة الخطاب وعلم النص، ص300و301.

2. **التحديد:** إن كل نص مهما كان نوعه (قصيدة أو قصة أو وثيقة...) يحتوي على دلالة غير قابلة للتجزئة وهذا يعني أنه يحقق وظيفة معينة وينقل دلالاتها الكاملة، والقارئ يعرف هذه الأنواع من النصوص بمجموعة من السمات، ولهذا السبب فإن نقل سمة ما إلى نص آخر هو وسيلة جوهرية لتكوين دلالات جديدة.

3. **الخاصية البنوية:** إن النص ليس مجرد متوالية(*séquence*) من مجموعة علامات تقع بين حدين فاصلين، فالتنظيم الداخلي الذي يولّد البنية الموحّدة لنصّ ما شيء واجب، لذلك كانت البنية شرطا أساسيّا لتكوين النّصوص.

أمّا"**روبرت آلان دي بوجراند"** (*Alain Robert de beaugrand*) و"**ولفجانج ألرخ درسلر"** (*Wolfgang Ulrich dreasslar*) فقد عرّفا النصّ بأنّه"حدث تواصليّ(*Occurrence communicative*) يلزم لكونه نصّا أن تتوفّر له سبعة معايير[28] للنّصّية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلّف واحد من هذه المعايير"[29]، وهذه المعايير هي:

1. **الاتّساق** (السّبك، التماسك الشكلي)(*Cohésion*).
2. **الانسجام** (الحبك، التماسك الدلالي) (*Cohérence*).
3. **القصد** (*Intonation*).
4. **الاستحسان**(*Acceptabilité*).
5. **المقامية** (*Situationalité*).
6. **التناص** (*Intertextualité*).
7. **الإعلامية** (*Informativité*).

3 ـ النص عند بعض العرب المحدثين :

لم يكتف الباحثون العرب بما انتهت إليه الدراسات الغربية، ولم يقفوا عند تداول ما خلصت إليه من مفاهيم وتحديدات، وإن تمثلوها في البداية، بل يلاحظ أنهم تفاعلوا مع هذه المعطيات بالكيفية التي أكسبت مواقفهم شيئا من التميز من خلال الاستفاد من المأثور اللغوي العربي ومعالجته وفق مقتضيات اللسانيات الحديثة. وهذه زمرة اللسانيين العرب ممن أدلى بدولوه في هذا المجال:

- **سعيد حسن بحيري:**

بعد أن أقرّ أن مصطلح النص لم يكن أفضل حال من مصطلح الجملة، لتعدد الأشكال النصية ليس في صورها الكبرى، بل في صورها الصغرى الجزئية يحول دون تعريف دقيق للنص، ولم يكن الجانب الكمي وحده مسؤولا عن هذا الاخفاق، بل يسهم الجانب الكيفي بقدر كاف في ذلك... ففي النص ركائز مادية فسيولوجية وعناصر متخالفة قائمة على محور الاختيار، وعلائق استبدالية قائمة على محور التركيب، ودلالات إشارية، وأخرى إيحائية، إلى غير ذلك من مكونات النص المستندة إلى تداخل الجوانب الرأسية

---

[28]– هذه المعايير السبعة هي نفسها ما يطلق عليه مصطلح النصانية ***Textualité*** وهي كما يبدو تمثل قواعد صياغة أي نص.

[29]– سعد مصلوح، نحو أجرومية للنص الشعري "دراسة في قصيدة جاهلية" مجلة فصول، مج10، 1991، ع: 1و2، ص154.

والأفقية وتعدد الدلالات وتعقد الشفرات إلى حد يسمح معه بتعدد القراءات[30]، لذلك لا يمكن أن تتحدد علامات البناء إلا لأنماط نصية أو أشكال نصية محددة [31]، فالنصية إذن، تلزم الحدث اللغوي الذي تماسك المبنى واكتمال الدلالة.

- **محمد الخطابي:**

إذا كان النص يتكون من جمل، فإنه يختلف عنها نوعيا، ذلك أن النص وحدة دلالية وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص، أضف إلى هذا أن كل نص يتوفر على خاصية كونه نصا يمكن أن يطلق عليها النصية، وهذا ما يميزه عما ليس نصا، فلكي تكون لأي نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحداته الشاملة، ويضيف محمد خطابي بأن النص مبدئيا هو تشكل كل متتالية من الجمل - شريط أن تكون بين هذه الجمل علاقات أو على الأصح بين عناصر هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة سابقة أو في جملة لاحقة، أو بين عنصر وبين متتاليات برمتها سابقة أو لاحقة[32]. فلا يتحقق النص بتوالي الجمل في أثر بعضها دون النظر إلى علاقات الترابط التي تحكم السابقة باللاحقة منها، فلا ينظر لدلالات الجمل منعزلة بقدر ما يعتد بالمعني الكلي الذي يتولد عن البنية الكلية للنص.

- **عبد المالك مرتاض:** يشيع عنده مصطلح النص الأدبي ويبرر ذلك بقوله:"إذا كان "بارط" يزعم أن جمالية اللذة في النص المنسوج هي الكتابة ذات الصوت العال، أو هي الكتابة متعالية الصوت، فإن النص في رأينا هو نسج أنيق من الألفاظ الصامتة التي تحتمل المعاني في ذاتها... النص هو نسيج الألفاظ بجمالية الانزياح، وأناقة النسج وعبقرية التصوير... ولذلك ترانا نذكر النص في الغالب مع صفته الأدبية[33]. وقد أشار مرتاض إلى دور القارئ في استنطاق الألفاظ الصامتة، التي لا تشكل قالبا معياريا يوحي بدلالة واحدة، بقدر ما يتباين القراء في توليد الدلالات باختلاف الخلفيات المعرفية لكل.

عبد الله الغدامي:

يرى أن"النص الأدبي عالم مهول من العلاقات المتشابكة يلتقي فيها الزمن بكل أبعاده، حيث يتأسس في رحم الماضي وينبثق في الحاضر، ويؤهل نفسه كإمكانية مستقبلية للتداخل مع نصوص آتية... والنص كذلك علاقات متشابهة من عناصر الاتصال اللغوية يتّحد فيها السياق مع الشفرة لتكوين الرسالة، ويتلاقى الباعث مع المتلقي في تحريك الحياة في هذه الرسالة وبعثها من جديد في تفسيرها واستقبالها [34]. فهذه العلاقات المتشابكة في انتظام هي التي تولد الوظيفة الأدبية للنص.

---

[30]– سعيد حسن بحيري ،علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص:3.

[31]– نفسه، ص: 3.

[32] ينظر محمد الخطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص:13.

[33]– عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص: 47.

[34] – ينظر محمد عبد الله الغدامي الخطيئة والتفكير، نادي الأدب الثقافي، جدة السعودية طبعة الأولى 1985، ص

تجدر الإشارة إلى أن وجود تعريف جامع مانع للنص أمر بعيد المنال، ويؤكد ذلك الاختلاف الموجود بين علماء اللغة الذين ينتمون إلى مدارس لغوية مختلفة حول حدود المصطلحات التي ترتكز عليها بحوثهم[35]، وأمام هذه الاختلافات يحاول **محمد مفتاح** أن يركب بينها جميعا ليستخلص المقومات الجوهرية لقيام نص ما وهذه المقومات هي:

- **النص مدونة كلامية**، يعني أنه مؤلف من الكلام وليس صورة فوتوغرافية أو رسما أو عمارة أو زيا وإن كان الدارس يستعين برسم الكتابة وفضائها وهندستها في التحليل.

- **حدث**: إن كل نص هو حدث يقع في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي.

- **تواصليّ**: يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجاربومشاهدات وانطباعات وأحاسيس وانفعالات... إلى المتلقّي.

- **تفاعليّ**: على أنّ الوظيفة التّواصليّة في اللّغة ليست هي كلّ شيء، فهناك وظائف أخرى للنّص اللّغوي، أهمّها التّفاعليّة التي تقيم علاقات اجتماعيّة بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها.

- **مغلق** أي أنّ له بداية ونهاية هذا من النّاحية الكتابيّة الأيقونيّة ولكنّه من النّاحية المعنويّة هو توالدي، فالحدث اللّغوي ليس منبثقا من عدم وإنّما هو متولّد من أحداث تاريخيّة واجتماعية ونفسيّة ولغويّة... وتتناسل منه أحداث لغويّة لاحقة له. فالنّصّ إذن هو: " مدوّنة حدث كلاميّ ذي وظائف متعدّدة "[36].

- وهكذا يصادف الباحث من التّعريفات والتّصوّرات المختلفة للنّص، ما يشوّش عليه فكره، ويفسد عليه رأيه، وما دام هذا واقع الحال، علينا أن نتمسك بما نراه محققا للنصية وهو أمران : **التماسك**[37] **والاكتمال**[38]؛ أما التماسك فيستفاد بالترابط النحوي والترابط الدلالي، وهما أول ما اشترطه الباحثان **دي بوجراند ودريسلر،** إذ النص في الأصل كلام مفيد، فهو متماسك نحوا، ولا يبنى من ألفاظ ليس بينها روابط، بل هو نظم يتوخى فيه معاني النحو، ثم إن النص يحتاج بعد تحقيق التماسك النحوي إلى التماسك الدلالي، فالنص ليس متتالية جملية أو مجموعة من المقاطع، بل ينظر إليه من حيث هو وحدة كلية مترابطة الأجزاء، لذا عدّ التماسك النصي شرطا ضروريا وكافيا للتعريف على ما هو نص، وعلى ما ليس نصا [39]. وهو ما يبينه الشكل التالي[40]:

---

[35]– سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، ص107 .

[36]– محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري "إستراتيجية التناص" المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، (ط4) 2005، ص: 119و120.

[37]– سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، ص: 116و117

[38]– ينظر: د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996، ص: 298.

[39]– د. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على الصور المكية، ج1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2000، ص: 99.

[40]– محمد خطابي، لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 12.

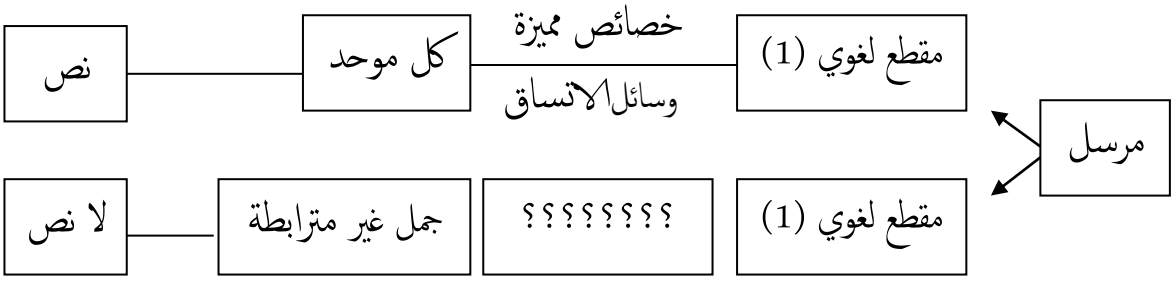

الواضح من المخطط أن الاتساق هو حجر الزاوية في البنية النصية، إذ كلما توفرت أدواته في عينة لغوية حكم لها بأنها بنية نصية، وبانعدامه صار المقطع اللغوي نتفا ممزقة، وبالتالي يفقد مقومات الوجود النصي حيث الاتساق والتناسق. ومع ذلك يلاحظ على هذا الشكل إهماله دور المتلقي في الحكم على التماسك النصي، إذ ما يفتأ النص أن يخرج إلى العالم حتى يتلقفه المتلقي، ليخلع عليه من خصائصه التمييزية ما يجعله امتدادا له، إلى الحد الذي يبدو فيه المتلقي مبدعا ثانيا.

وعليه يمكن تصور الشكل المحدد للتماسك النصي وفق هذه الرؤيا، إذ ليس من مهمة المرسل أن يحدد الأهداف التبليغية للنص، بل يكفي أن ينتج أثرا يحاول أن يضمنه خصائص مميزة يتوسم فيها تحقيق التماسك النصي، ثم يلقي به إلى القارئ تاركا له الحكم بالنصية أو عدمها على ذلك الحدث اللساني. ومن ثم يمكن تصور شكل التماسك النصي على هذا النسق.

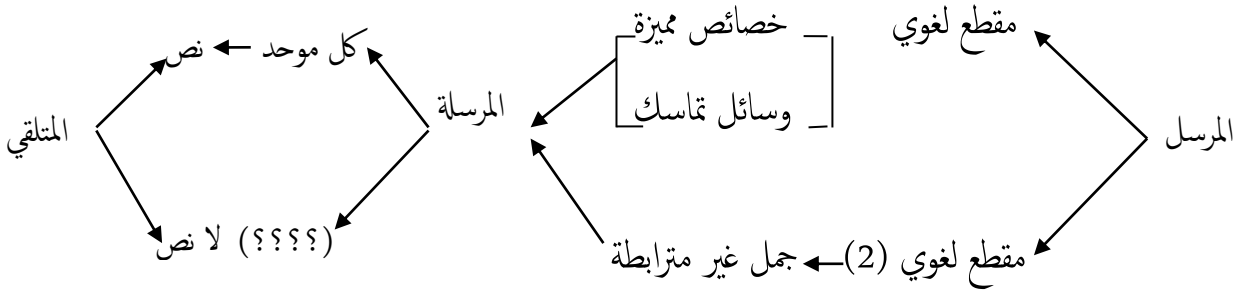

وأما الاكتمال، فهو اكتمال في لفظ النص واكتمال في دلالته، بحيث يحقق مقصدية قائله في عملية التواصل اللغوية، من خلال اكتفائه بذاته، من حيث هو بنية منتظمة لا تحتاج إلى ما سواها من عوامل رديفة تقل المعاني وتعين على فهم المراد.

حجم النص:

لم يعد مهما - في ضوء توفر معايير النصية - طول النص أو قصره، إنما الخاصية الأولى لتحديد النص هي **الاكتمال**، وليس الطول أو الحجم المعين[41] حتى وإن تمظهر في شكل جملة واحدة قصيرة، بينما تظل الجملة أو المجموعة من الجمل- وإن حققت معنى يحسن السكوت عليه - فرعا من أصل تتعلق به، وتكتسب دلالتها السياقية جراء التقابلات مع ما سواها من الجمل داخل النص، وإن كان لها خارج النص وجود مختلف. وقد كان اللغوي هيلمسليف يقول إن أبعاد العلامة لا تمثل منظورا مناسبا لتحديدها، بحيث نجد أن كلمة

41- ينظر: د. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 298.

واحدة مثل"نار" يمكن أن تكون علامة في مقابل عمل روائي ضخم مثلا، فكل منها يمكن اعتباره "نصا" وذلك بفضل اكتماله واستقلاله بغض النظر عن مدى طوله[42].

وفي هذا الصدد يرفض"فان ديك" فكرة تقييد النص بطول معين، إذ يقول:" لن نحترم هذا التقييد،

فيمكن أن يتركب النص من جملة واحدة، أو حتى من كلمة واحدة، كما في حال الأمر"تعال" مثلا، وليس من العسير أن نلاحظ بشكل عام أن حكاية أو رواية تكون نصا واحدا[43].

وبعد أن نزّه الباحثان؛ "هاليداي ورقية حسن" النص من كونه مجموعة من الجمل، أجازا إمكانية أن يكون أيَّ شيء؛ من مَثَلٍ واحدٍ حتى مسرحية بأكملها، من نداء استغاثة حتى مجموع المناقشات الحاصلة طوال اليوم[44]. ومن هذا المنطلق، غدا النص تلك الوحدة الكبرى التي تشمل معنى لا يقبل التجزئة ويؤدي وظيفة ثقافية ما. وعليه لا ينظر إلى النص من حيث حجمه في سبيل الوصول إلى النص المستدير[45] المكتمل، وهو ما يؤكده تعريف "صلاح فضل" للنص إذ "**هو القول اللغوي المكتفي بذاته والمكتمل في دلالته**[46]. وبالتالي لايشترط في النص الطول أو القصر، بقدر ما يشترط فيه الاكتمال والنضج الدلالي، بالإضافة إلى ظاهرة التلاحم والتماسك فيه، وكذلك العلاقات الوثيقة بين المستويات اللغوية السطحية والعميقة. وعليه لا أرى **النص إلا بذرة يشترط لنموها أن تكون مكتملة، وناضجة، وحية.**

في غمرة تعدد هذه التعريفات واختلافها إلى الحد الذي تبدو فيه متعارضة في بعض الاحيان، يُلفى الدارس المبتدئ في حيرة من أمره، فبأي التعريفات يأخذ وبأي الآليات يشتغل؟وقد يهون الأمر قليلا إذا عرف أن منشأ هذا الاختلاف مرده إلى تباين المرتكزات التي صدر منها كل باحث، إضافة إلى الاختلاف في ضبط حدود النص نظير تعدد الاهتمامات والتوجهات والرؤى للمشتغلين في الحقل الواحد.

ومهما اختلفت تعريفات النص وتعددت، فالثابت أنه يحرز من الخصائص ما تجعله يتجاوز حد الجملة، منها أن تحقق المعنى العام للنص يتجسد باكتمال البنية الكلية للنص، ويرتبط بالتغيرات التي تتعلق بعملية بناء النص وفهمه، كما تتحكم فيه روابطه الداخلية وعلاقاته الخارجية بالسياقات المرافقة له.

---

[42]- المرجع نفسه، ص 298.

[43]- فان ديك، النص بنيانه ووظائفه، تر/ محمد العمري، ضمن كتاب في نظرية الأدب، مقالات ودراسات، سلسلة كتاب الرياض، ط1،1997، ص: 61،62.

[44]- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 13.

[45]- أي المنغلق على ذاته، وتستخدم هذه الفكرة لتحديد اكتماله واستقلاله واكتفائه بذاته، أي تحديده المادي بمجال معلوم [بداية ونهاية]، ولا يقصد بهذه الصفة الاستغلاق والتحجر، حيث عدم قبوله لتعدد التأويل.

[46]- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص: 299